مركز كارنيغي
للشرق الأوسط

دراسة

حزيران / يونيو 2020 | سلسلة دراسات حول الإسلام السياسي

المؤسسة الدينية السنّية في دمشق: حين يؤدّي التوحيد إلى التقسيم

ليلى الرفاعي

مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي

المؤسسة الدينية السنّية في دمشق: حين يؤدّي التوحيد إلى التقسيم

ليلى الرفاعي

مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي
1779 Massachusetts Avenue NW
Washington, DC 20036
P: + 1 202 483 7600
F: + 1 202 483 1840
CarnegieEndowment.org

مركز كارنيغي للشرق الأوسط
برج العازارية، الطابق الخامس
رقم المبنى 1210 2026 ، شارع الأمير بشير
وسط بيروت التجاري
بيروت، لبنان
تلفون: 291 991 1 961
فاكس: 591 991 1 961
ص. ب: 11 - 1061 رياض الصلح
Carnegie-MEC.org

يُمكن تحميل هذه المطبوعة مجاناً من الموقع الإلكتروني:
Carnegie-MEC.org

المحتويات

ملخّص	1
مشهد الديني السنّي قبل انتفاضة 2011	2
إعادة تشكيل المشهد الديني السنّي منذ 2011	6
خاتمة: ارتباطات دولية ومشاغل محلية	10
نبذة عن المؤلّفة	11
شُكر	11
هوامش	12

ملخّص

قَلَبَت الانتفاضة السورية، التي اندلعت العام 2011 ولاتزال متواصلة، المشهد الإسلامي السنّي للعاصمة دمشق رأساً على عقب. والمفارقة هنا أن كلاً من النظام والمعارضة الإسلامية حقّقا هدفاً ثميناً لهما: النظام، عبر توكيده السيطرة على مؤسسة دينية كانت تتشكّل في السابق من كيانات مُتنافسة ومُتشظية؛ والمؤسسات الدينية الدمشقية، التي لطالما شهدت منازعات وكانت تتكوّن من مؤسسات وأفراد هم الآن في المنفى القسري، حين توحّدت في إطار مؤسسة مُعارضة هي المجلس الإسلامي السوري.

الأفكار الرئيسة

- سعى النظام عموماً خلال العقود الأولى العديدة من حكم حزب البعث في سورية منذ العام 1963، إلى منع تأسيس أي نوع من أنواع المؤسسة الإسلامية السنّية المُتّسقة، مُفضّلاً عوض ذلك اللعب على وتر التناقضات بين المؤسسات الدينية وتأليبها على بعضها البعض، مع السماح لكيان مفضّل بعينه في كل مرحلة بممارسة قدرٍ من الاستقلال الذاتي.
- بدأ النظام بانتهاج أسلوب معاكس العام 2008، تسارع قُدُماً في السنوات التي تلت العام 2011 وتم استكماله منذ ذلك الحين. واليوم، هناك مؤسسة دينية سنّية مقرّها دمشق تحمل ترخيص الدولة السورية.
- انطوى استحداث النظام لمثل هذه المؤسسة الدينية السنّية على تطهير العديد من المؤسسات الإسلامية التي اعتُبرت غير طائعة بما فيه الكفاية. وقد ظهر العديد من الشخصيات الوازنة في هذه المؤسسات في المنفى بوصفهم أعضاء في المجلس الإسلامي السوري، الذي يُعتبر حتى الآن أكبر منظمة إسلامية سورية مُعارضة والأوسع تمثيلاً.

خلاصات

- ربما نجح النظام في فرض إرادته على كيانات دينية عديدة في دمشق (المساجد والمؤسسات التعليمية والجمعيات الخيرية)، وبالتالي في دمجها ضمن مؤسسة دينية واحدة متّسقة. بيد أن مثل هذه المؤسسة تُعاني من نقص فادح في درجة شرعيتها الشعبية.
- تُعاني المعارضة الإسلامية، على الرغم من كل نجاحاتها في تأسيس حركة عريضة وواسعة وفي نيل الاعتراف الدولي، من حالة من العجز بحكم عملها غالباً في المنفى.
- يُرجّح أن تصبح محافظة ريف دمشق ساحة مُعترك سياسي، بعد أن برزت فيها كوكبة من رجال الدين تحظى بالاحترام ويعتبرهم كلٌ من النظام والمجلس الإسلامي السوري، على حد سواء، من الشخصيات المُستقلة التي يمكن أن تكون رصيداً ثميناً لكلٍ منهما.

المشهد الديني السنّي قبل انتفاضة 2011

خضعت سورية، ذات الغالبية السنّية، إلى الانتداب الفرنسي من العام 1923 حتى العام 1946.[1] خلال هذه الفترة، تمتّعت الهيئات الدينية السنّية في دمشق بدرجة من الاستقلالية المؤسسية والاقتصادية عن الدولة. هذه الاستقلالية، التي كانت إرثاً من العهد العثماني، شهدت صعود نخبة من العلماء البارزين الذين عملوا كوسطاء بين المواطنين العاديين، وبين سلطات الدولة التي منحتهم هامشاً من الاستقلال الذاتي ومكّنتهم من الحفاظ على نفوذهم في المجتمع، خاصة في دمشق.[2]

عاشت هذه التسوية المؤقتة إلى حين نيل سورية استقلالها العام 1946. وبعدها، سعت الأنظمة المتلاحقة إلى تنظيم ومأسسة السلطات الدينية عن طريق التشريع، وبلغت هذه العملية ذروتها في العام 1961 مع سنّ قانون يؤسّس وزارة الأوقاف. بيد أن هذا الإجراء وصل إلى خواتيمه بعدها بسنتين مع تسلّم حزب البعث السلطة.[3]

فقد اعتمد هذا الحزب على الجهاز الأمني لفرض سيطرته ورقابته على رجال الدين، وأخضع خُطب الجمعة إلى تمحيصٍ مشدّد، وطلب من رجال الدين الحصول على موافقة مُسبقة لتأسيس الجمعيات الخيرية أو الانخراط في جمع التبرعات، لا بل حتى أجبرهم أيضاً على رفع تقارير عن نشاطاتهم. بيد أن المُلفت هنا هو أن البعث لم يمضِ قدماً في مأسسة الهيئات الدينية. كان ثمة اعتباران وراء هذه الاستراتيجية: الأول أن النخبة السنّية المدينية (التي سيطرت عملياً على الاقتصاد) كانت ستُعارض احتكاراً لروابطها ومؤسساتها ينطلق من القمة نزولاً. ولذا، امتنع البعثيون عن إطلاق مثل هذا المشروع. ناهيك عن أنه لم تكن لديهم رغبة كبيرة في القيام بذلك، لأن معتقداتهم الماركسية تؤمن أن برامج الهندسة الاجتماعية ستخلق بنفسها مجتمعاً يرفض طوعاً «الفقهاء الدينيين الرجعيين».[4]

سجّل هذا التطور نقطة تحوّل في التاريخ الحديث للمؤسسة الدينية السنّية. ففي ظل نظام البعث، لم يعد ثمة سلطة دينية رسمية جامعة، ولا تراتبية فقهية للعلماء، على غرار الأزهر في مصر ومجلس كبار العلماء في السعودية، تقوم بتعيين أعضائها وتحديد مهامهم ورتبهم. وعلى المستوى المؤسسي، لم يشكّل حزب البعث هيئة تمثيلية أو اتحاداً للعلماء شبيهاً بذلك الذي أقامه لمراقبة باقي قطاعات المجتمع، من كتّاب وطلاب وفنانين ونساء ومزارعين وعمال. كما أن العلماء لم يصبحوا جزءاً من الدولة ومندمجين في وزارة الأوقاف (عدا 200 إلى 300 من موظفي هذه الوزارة). عوض ذلك، بقي رجال الدين معتمدين مالياً على القطاع الخاص، ولا سيّما مؤسساته الخيرية وأيضاً مختلف قطاعات التجار، ما ساعدهم على الحفاظ على استقلاليتهم المالية التقليدية وكذلك الإدارية.[5]

كل هذا أرسى إطاراً للعلاقات بين العلماء وبين الدولة، كما بين العلماء أنفسهم. فقد أضحت المؤسسة الدينية الدمشقية مُنقسمة إلى كيانات (الجمعيات الخيرية، والطرق الصوفية، ومؤسسات الشريعة، وكلية الشريعة الرسمية التي كانت جزءاً من جامعة دمشق، وشخصيات فردية)، تتباين في قربها أو بعدها عن النظام. وبما أن هذه الكيانات كانت تعمل داخل تخوم دولة أمنية تراقب عن كثب التنظيم والنشاطات

الاجتماعيـة، فإنهـا لـم تكـن موحّـدة تحـت مظلّـة واحـدة. لا بـل عمـل أعضاؤهـا كخصـوم يتنافسـون علـى النفـوذ. عـلاوةً علـى ذلـك، عمـد النظـام إلـى تحويـر انتبـاه الكيانـات وتوجيهـه بعيـداً عـن السياسـة ونحـو الشـأن الاجتماعـي. وهـذا أنهـى عملياً عقـوداً مـن النشـاط السياسـي مـن جانـب المؤسسـات الدينيـة (مثـل تنظيـم المظاهـرات وطـرح مرشـحين للانتخابـات البرلمانيـة)، مـا ولّـد سـخطاً فـي أوسـاط النخبـة السـنّية المدينيـة.

فـي أعقـاب اسـتيلاء حافـظ الأسـد علـى السـلطة العـام 1970 عبـر انقـلاب داخلـي بعثـي عُـرف باسـم «الحركـة التصحيحيـة»، وقـع كلٌ مـن النظـام وسـلك ضبـاط الجيـش تحـت هيمنـة الأقليـة العلويـة (وهـي طائفـة منبثقـة عـن الشـيعة) وأفـراد يتحـدرون مـن أصـول فلاحيـة.[6] هـذا التطـور فاقـم حنـق النخبـة السـنّية المدينيـة التـي بـدأت فـي أواخـر السـبعينيات التـي لجـأت إلـى تظاهـرات وإضرابـات وأعمـال شـغب تصدّرتهـا جماعـة الإخـوان المسـلمين التـي كانـت تسـعى إلـى إقامـة دولـة إسـلامية.[7] فـي العـام 1980، أشـعلت الجماعـة تمـرّداً مسـلّحاً، وفـي تشـرين الأول/أكتوبـر مـن ذلـك العـام تأسسـت فـي السـعودية جماعـة أُطلـق عليهـا اسـم الجبهـة الإسـلامية لدعـم هـذا التمـرد.[8] كانـت تلـك أنجـح محاولـة حتـى الآن لدمـج رجـال الديـن المنشـقين فـي هيئـة سياسـية موحّـدة، وكانـت جماعـة الإخـوان ونحـو 100 رجـل ديـن منفييـن يقفـون وراء هـذه المبـادرة، بمـا فـي ذلـك قيـادة جماعـة زيـد، وهـي شـبكة إسـلامية تعليميـة يدعمهـا التجّـار مقرهـا فـي دمشـق وكانـت تعـارض النظـام آنـذاك.

بيـد أن هـذا المشـروع تداعـى مـع سـقوط مدينـة حمـاة التـي كان يسـيطر عليهـا المتمـردون فـي العـام 1982 ومـا تـلا ذلـك مـن تهـاوي الانتفاضـة. حينهـا، تقرّبـت جماعـة الإخـوان مـن المعارضـة العلمانيـة وسـاعدت علـى إنشـاء التحالـف الوطنـي لتحريـر سـورية، مـا أدى إلـى شـرذمة الجبهـة الإسـلامية. ثـم إن الجماعـة نفسـها عانـت مـن الانشـقاق، بعـد أن خـرج عليهـا العديـد مـن الأعضـاء فـي خضـم محـاولات النظـام لسـحقها فـي الثمانينيـات. وفـي أواسـط الثمانينيـات، تمزقـت الجبهـة الإسـلامية وأجبـرت الأجهـزة الأمنيـة السـورية مـن تبقـى مـن جماعـة الإخـوان علـى اللجـوء إلـى العمـل السـري.

علـى الرغـم مـن قيـام النظـام باسـتئصال شـأفة الإسـلاميين والمُشـتبه بكونهـم إسـلاميين، إلا أنـه كان حريصـاً فـي الوقـت نفسـه علـى تأميـن غطـاء دينـي. وقـد أسـفرت سـيطرة البعثييـن علـى الحكـم فـي السـتينيات إلـى صعـود نجـم أحمـد كفتـارو، رئيـس مجمـع أبـو النـور التعليمـي الإسـلامي (المعـروف أيضـاً باسـم مجمـع الشـيخ أحمـد كفتـارو) الـذي أسّسـه والـده بمعيـة شـيخ بـارز فـي الطريقـة الصوفيـة النقشـبندية فـي دمشـق.[9] كان كفتـارو قـد أثبـت ولاءه لحـزب البعـث حيـن كان العضـو الوحيـد مـن بيـن رجـال الديـن الدمشـقيين الـذي دعـم ترشـيح الحـزب لريـاض المالكـي فـي الانتخابـات البرلمانيـة العـام 1957. كمـا أنـه انشـقّ عـن صفـوف نظرائـه حيـن نافـس الشـيخ حسـن حبنكـة الميدانـي علـى منصـب مفتـي الجمهوريـة.[10] صحيـح أن كفتـارو حظـي بوظيفـة وبدعـم حكومـي، لكنـه خسـر فـي خضـم ذلـك وضعيتـه الرمزيـة وشـرعيته فـي أوسـاط قطاعـات واسـعة مـن المجتمـع السـوري. وهـذا عنـى أنـه خـلال اضطرابـات انتفاضـة جماعـة الإخـوان فـي الثمانينيـات التـي رفعـت سـيف التحـدي فـي وجـه شـرعية النظـام السياسـية والاجتماعيـة، لجـأ النظـام إلـى شـخصية اعتبرهـا أكثـر مقبوليـة، نسـبياً علـى الأقـل، لـدى العلمـاء والمجتمـع السـنّي الأوسـع: محمـد سـعيد البوطـي.

تخرّج البوطي من كلٍ من معهد التوجيه الإسلامي المحلي ومن جامعة الأزهر في مصر، ما جعله مُتبحّراً بالفقه الإسلامي بشطريه التقليدي والحديث، كما أنه حظي باحترام خارج حدود سورية. تقدّم البوطي الصفوف لنجدة النظام في لحظة حرجة للغاية. في مقابل ذلك، تعزّزت مكانته وحظي بلقاءات لساعات طويلة مع الرئيس آنذاك حافظ الأسد، إضافةً إلى الاستحواذ على منبر الجامع الأموي (أرفع موقع سنّي في سورية). كل هذا وفّر له حرية تعبير لم يعرفها معظم نظرائه، وفضلاً عن برنامج أسبوعي على التلفزيون الرسمي السوري. إضافةً إلى ذلك، استطاع البوطي التوسّط لصالح سجناء ومنفيين، بمن فيهم أعضاء بارزون في جماعة الإخوان، وقادة جماعة زيد الذين تم نفيهم من البلاد بعد اتهامهم بالانضمام إلى الإخوان ودعم انتفاضتهم.[11]

في العام 2000 توفي حافظ الأسد. وكما كان متوقّعاً، أدى البوطي شعائر صلاة الجنازة. بيد أن الاجتماع اللاحق للشيخ مع نجل الأسد، بشار، كان الأول والأخير لفترة من الزمن. فقد وجد بشار نفسه على رأس مجتمع أكثر تديّناً من ذلك الذي عاينه والده، وأراد أن يشق لنفسه نهجاً خاصاً به. وهكذا، خسر البوطي الحظوة حين اختار بشار حلفاء جدد غير متوقعين انتقاهم من صفوف منافسي البوطي في جماعة زيد، التي سُمح لقادتها بالعودة إلى سورية في التسعينيات.[12] تعيّن على بشار أيضاً أن يتعاطى مع إدراج الرئيس الأميركي جورج دبليو بوش سورية في «محور الشر»، غداة هجمات أيلول/سبتمبر 2001، وغزو العراق بقيادة الولايات المتحدة العام 2003، واغتيال رئيس الحكومة اللبناني الأسبق رفيق الحريري العام 2005 وما تلا ذلك من خروج القوات السورية من لبنان. كل هذه التطورات هدّدت النظام وحفزت بشار الأسد على إقامة علاقات مع شخصية دينية تتمتع بشرعية اجتماعية أوسع من البوطي، فوقع اختياره على أسامة الرفاعي، رئيس جماعة زيد، الذي نسج معه علاقة جيدة.[13]

من جهتهم، واصل علماء دمشق محاولاتهم لتوحيد الصفوف، وسعوا إلى تسوية مشكلة تشظي المشهد الديني من خلال تشكيل هيئات جامعة كبيرة كلما سنحت الفرص. في العام 2004، دعا معاذ الخطيب، وهو شيخ وإمام سابق للجامع الأموي الشهير في دمشق، إلى تشكيل اتحاد العلماء والأئمة والدعاة،[14] ما أعاد إلى الذاكرة رابطة العلماء (التي كان والد الخطيب عضواً فيها) التي أسّسها الإصلاحي كامل القصاب، التلميذ السابق للإصلاحي الإسلامي الشهير محمد عبده، من حيث السعي لتوحيد رجال الدين والدعاة في هيئة واحدة لها طبيعة سياسية واضحة. من بين المطالب الرئيسة التي أُدرجت في الميثاق المُقترح (الذي لم يُنشر آنذاك) استعادة الحريات العامة، وإطلاق سراح السجناء السياسيين، وإلغاء قوانين حالة الطوارئ، والمحاكم الخاصة، والاعتقالات التعسفية، ووضع حد لنظام الحزب الواحد.[15] بيد أن معظم العلماء كانوا منشغلين آنذاك بالتصدي للتوجهات الثقافية العلمانية والحد من انفتاح المجتمع. ولذا لم يحظ مشروع الخطيب سوى بحفنة أنصار ولم ير النور قط.

بعدها بسنوات، أطلق علماء دمشقيون بارزون محاولة توحيدية جديدة كانت علنية هذه المرة، وتلقّت مساندة رسمية. فقد شهد شهر نيسان/أبريل 2006 ولادة مؤتمر علماء بلاد الشام، وحضر حفل الإعلان وزير الأوقاف الدينية زياد الأيوبي وممثلون عن أبرز الشبكات الدينية (الفتح، وزيد، والميدان)، وكذلك الداعية الإسلامي محمد راتب النابلسي والبوطي.[16] واعتبر البوطي هذه المؤسسة الجديدة كـ«مرجعية»

لحمايـة الإسـلام مـن التهديـدات الإيديولوجيـة الخارجيـة والنزاعـات الداخليـة. بتعابيـر أخـرى، لـن تكـون هـذه الهيئـة مهتمـة بالشـؤون السياسـية بـل سـيكون هدفهـا تعزيـز نفـوذ العلمـاء فـي مواجهـة التيـارات الثقافيـة العلمانيـة ووقـف المشـاجرات الفئويـة. علـى أي حـال، لـم تعـش هـذه المؤسسـة طويـلاً، ومثلهـا مثـل المشـاريع المشـابهة، وضعـت الانقسـامات الداخليـة التـي كان النظـام يتلاعـب فيهـا، حـداً لهـا.

أساسـاً، حيـن يتعلّـق الأمـر بالكيانـات والتيـارات الاجتماعيـة، كان النظـام يحابـي جماعـة أو مجموعـة مـن العلمـاء علـى حسـاب أخـرى، وفقـاً لمـا تمليـه حسـاباته فـي كل مرحلـة. وهكـذا، إذا مـا حظـي طـرف اليـوم بأهميـة قـد يفقـد هـذه الحظـوة غـداً، بينمـا تقـوم كل مجموعـة باشـتقاق معقـل جغرافـي خـاص بهـا. وقـد أثبـت النظـام عبـر تبنيـه هـذا المنهـج أنـه قـادر علـى التلاعـب بالمجـال الدينـي فـي البـلاد بطريقـة خفيـة.[17] كان النظـام يطلـب مـن مختلـف الكيانـات الإسـلامية والتيـارات الاجتماعيـة منحـه الشـرعية الدينيـة والسياسـية، فـي مقابـل الحفـاظ علـى المعاييـر الدينيـة والاجتماعيـة المُحافظـة ورفـع شـأن العلمـاء الذيـن يقبلـون بذلـك، ومنحهـم مزايـا علـى حسـاب منافسـيهم. لـذا، وفـي سـبيل الحفـاظ علـى مواقعهـا، تعيّـن علـى هـذه الكيانـات أن تسـتغل دومـاً أي فرصـة يطرحهـا النظـام كجـزء مـن اسـتراتيجية التلاعـب. لكـن، حتـى هـذه القـدرة المحـدودة علـى المنـاورة تضـاءلـت بعـد حيـن.

فـي أيلول/سـبتمبر 2008، دوّى انفجـار قـرب مبنـى تابـع للمخابـرات فـي دمشـق. حينهـا، ادّعـى النظـام أن منظمـة فتـح الإسـلام، وهـي مجموعـة جهاديـة كانـت ناشـطة فـي لبنـان قبلهـا بسـنة، هـي التـي نفّذتـه. وقـد أدلـى عضـو فـي هـذه الجماعـة باعتـراف متلفـز، علـى الأرجـح تحـت الإكـراه، قـال فيـه إن دروسـه فـي معهـد الفتـح الإسـلامي فـي دمشـق (حتـى ذلـك الحيـن لـم يكـن ثمـة شـبهات بـأن هـذا الأخيـر لـه علاقـة بفتـح الإسـلام) لعبـت دوراً فـي دفعـه نحـو الإيديولوجيـا الجهاديـة، بتأثيـر مـن «الطـلاب العـرب المتطرفيـن» الذيـن التقـى بهـم هنـاك. أضـاف أن فتـح الإسـلام «جمعـت التبرعـات مـن خـلال جمعيـات خيريـة».[18] بعدهـا بفتـرة قصيـرة، وفـي خطـوة اعتُبـرت علـى نطـاق واسـع بمثابـة ردٍ علـى التفجيـر، اسـتبدل النظـام وزيـر الأوقـاف الدينيـة زيـاد الأيوبـي، وهـو أحـد أنصـار كفتـارو، بمحمـد عبـد السـتار السـيد مفتـي طرطـوس. كان هـذا الأخيـر قـد دعـا فـي أوائـل ذلـك العـام، علـى الأرجـح بدفـعٍ مـن مكتـب الأمـن القومـي، إلـى عـودة سـلطة الدولـة إلـى المجـال الدينـي، زاعمـاً أنـه بـات يضـم هيئـات «تخلـق دولاً داخـل الدولـة» وتحـرّض علـى الفوضـى.[19] كان أحـد مطالـب السـيد الأساسـية تعييـن نائـب وزيـر للتعليـم الدينـي فـي وزارة الأوقـاف الدينيـة تنـاط بـه مهمـة توحيـد المناهـج الدينيـة. وقـد تـم تلبيـة هـذا الطلـب.

بعدهـا، مضـى النظـام قدمـاً فـي السيطرة علـى العديـد من المؤسسـات والجمعيـات الخيرية الإسـلامية المسـتقلة. فبعـد ثلاثـة أيـام فقـط مـن التفجيـر، وُضعـت المؤسسـات التـي تعلّـم الشـريعة الإسـلامية تحـت سـيطرة وزارة الأوقـاف الإسـلامية لأهـداف «إداريـة، وفقهيـة، وتعليميـة وماليـة».[20] بكلمـات أوضـح، جـرى تأميـم هـذه المؤسسـات جزئيـاً. وعلـى الرغـم مـن اسـتمرار السـماح بالتمويـل مـن مُتبرعيـن خاصيـن، إلا أن كل التبرعـات بـات يتعيّـن أن تُقّرهـا لجنـة يرأسـها المفتـي الأكبـر فـي سـورية.

عـلاوةً علـى ذلـك، وُضـع الموظفـون فـي المؤسسـات الدينيـة تحـت سـلطة وزارة الأوقـاف، التـي أُنيـط بهـا

حق تعيينهم وتسريحهم، والتحكّم أيضاً بالمناهج التربوية لهذه المؤسسات. وهكذا، وللمرة الأولى منذ تأسيس كلية الشريعة العام 1954، شكّلت الوزارة مؤسسات شريعة عدة تابعة لها، وبدأت تدريب الدعاة وتوسيع جهازها البيروقراطي. وبفضل المرسوم الرئاسي الرقم 180 الذي صدر في العام 2009، ضاعفت الوزارة عديد موظفيها بنحو 15 ضعفاً،[21] كما أعيدت تسميتها لتصبح وزارة الأوقاف والشؤون الدينية. لقد كان واضحاً أن الهدف الجديد للنظام هو مأسسة الحياة الدينية من خلال قوانين ومراسيم جديدة، مستغلاً الحوادث الأمنية والمخاوف السياسية كما فعل عَقِب التفجير الذي استهدف مبنى تابع المخابرات.

تمثّل التوجه الثاني للاستراتيجية الجديدة للنظام في المجال الديني في تكثيف رقابته وسيطرته على رجال الدين من كل الأطياف والتوجهات السياسية، وقمع أولئك الذين ينتهجون خطاً شبه مستقل. فقد أغلق قناة «الدعوة» التلفزيونية التابعة لجماعة زيد، ومركز الدراسات الإسلامية الذي أسّسه الشيخ وعضو مجلس الشعب الإسلامي-الليبرالي محمد حبش.[22] كما عاقب النظام العديد من أساتذة الشريعة لمعارضتهم، من ضمن أشياء أخرى، «قانون الطفل» الذي رفع الحد الأدنى لسنّ زواج الفتيات، وتدخّل مكتب الأمن القومي لمنع الأساتذة الحانقين من إقامة رابطة لخريجي كلية الشريعة، وفرض حظراً على سفرهم إلى الخارج.[23] من جهته، دعم محمد السيد الوزير الجديد للأوقاف والشؤون الدينية انقلاباً ناجحاً داخل مجمّع كفتارو، ما جعله أكثر خنوعاً للنظام. وأخيراً، وفي سياقٍ تطابَقَ مع الجهود لمأسسة النخبة الدينية، اتُّخذت إجراءات لتقليص شعائر التديّن السافرة في المجتمع، كإغلاق صالات الصلاة في المراكز التجارية، ومنع الملصقات الدينية الشعبية، وحظر النقاب في المدارس، ونقل أكثر من 1000 معلمة منقّبة إلى وظائف إدارية.[24]

هكذا كان الوضع العام للمجال الديني السنّي في دمشق عشية الانتفاضة السورية، حيث ضاعفت أجهزة الأمن قمع الشخصيات الدينية بوتيرة بدا أنها لن تتوقف عند حد. وفي الوقت نفسه، انهمك النظام في تأميم المؤسسات الدينية وإخضاعها إلى وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

إعادة تشكيل المشهد الديني السنّي منذ 2011

أدى اندلاع الاحتجاجات ضد النظام في غرّة العام 2011، إلى ردود فعل متناقضة في صفوف مختلف الكيانات التي تشكّل المشهد الديني السنّي في دمشق. إذ لم يبرز فقط انقسام بين أولئك الذين اصطفوا إلى جانب النظام وبين أولئك الذين دعموا المتظاهرين، بل تباينت في بعض الأحايين الآراء بين القيادة والقواعد في مؤسسة واحدة. أكثر من ذلك، اختلفت درجة مشاركة أعضاء الكيانات التي أيدت مطالب المتظاهرين في التظاهرات على نحو بيّن وكبير.[25]

على سبيل المثال، دعمت جماعة الميدان، وهي شبكة تعليمية إسلامية، مطالب المُحتجين. وحذا حذوها مسجد الشافعي البارز في حي المزّة الراقي الذي أصبح مركزاً للنشاطات المناوئة للنظام. وفي هذه الأثناء، تبنّت جماعة زيد مقاربة الانتظار والترقّب، بيد أنها دُفعت إلى دعم المحتجين بضغط من

أعضـاء قاعدتهـا الشـعبية، وربمـا أكثـر بسـبب سـلوكيات النظـام نفسـه الـذي أرسـل شـبّيحة انهالـوا بالضـرب علـى الشـيخ أسـامة الرفاعـي، بعـد اتهامـه بعـدم دعـم الخطـوات القمعيـة للنظـام بالقـدر المطلـوب.[26]

اختـارت قيـادة معهـد الفتـح الإسـلامي مسـاندة النظـام. بيـد أن العديـد مـن الأسـاتذة والإدارييـن، الذيـن تأثـروا بطلابهـم، خرجـوا عـن طاعـة القيـادة ودعمـوا علنـاً المحتجيـن. كمـا شـهدت مختلـف الطـرق الصوفيـة ظاهـرة مماثلـة، فدعـم شـيوخٌ النظـام فيمـا كان عـدد لا بـأس بـه مـن أتباعهـم ينضمـون إلـى المحتجيـن. فـي المقابـل، بالـكاد شـهد مجمـع كفتـارو نشـاطاً مناوئـاً للنظـام فـي صفـوف أعضائـه، مـا خـلا مجموعـة صغيـرة أطلقـت علـى نفسـها اسـم «أحـرار مجمـع الشـيخ كفتـارو».[27] لكـن البوطـي، الـذي كان لايـزال رسـمياً أرفـع رجـل ديـن إسـلامي فـي النظـام، أدان المتظاهريـن بشـدة مـراراً وتكـراراً، إلـى أن تـمّ اغتيالـه فـي انفجـار غامـض فـي 21 آذار/مـارس 2013.[28]

لـم يوفّـر النظـام أي شـخصية دينيـة أعربـت عـن دعمهـا للمحتجيـن أو اشـتبه بأنهـا متعاطفـة معهـم. وهـو أنـاط بأجهـزة الأمـن اعتقـال، وسـجن، وتعذيـب، وحتـى قتـل عـدد مـن هـذه الشـخصيات.[29] أمـا أولئـك الذيـن نفـدوا بجلدهـم مـن الاعتقـال، فلـم يكـن أمامهـم سـوى المنفـى. وغـداة حمـلات الإطبـاق هـذه التـي أطلقهـا النظـام، جـرى إخضـاع جماعـة زيـد وجماعـة الميـدان ومسـجد الرفاعـي فـي المـزّة إلـى رقابـة صارمـة ومشـدّدة.

كان لاسـتراتيجية النظـام فـي مواجهـة العلمـاء المؤيديـن للمعارضـة تأثيـران اثنـان علـى المجـال الدينـي السـنّي فـي دمشـق. الأول: فيمـا كانـت شـخصيات دينيـة وازنـة تُنتـزع مـن مسـاجدها أو تُجبـر علـى الفـرار، بـرز علـى السـاحة لاعبـون جـدد لـم يكـن لهـم فـي السـابق سـوى نفـوذ محـدود. هـذا التطـور ترافـق مـع تطبيـق النظـام لاسـتراتيجية التلاعـب علـى المسـتوى المؤسسـي. وفـي بعـض الحـالات، كان النظـام يقتنـص الفـرص لتسـهيل سـيطرته الشـاملة علـى المؤسسـات المثيـرة للمتاعـب واسـتبدالها بأخـرى تحظـى منـه بثقـة أكبـر.

هـذا مـا حـدث لجماعـة زيـد التـي قـررت، بعـد تـردّد، إبـداء الدعـم للمحتجيـن. وقـد رد النظـام بالإطبـاق علـى قيادتهـا وتمكيـن معهـد الفتـح الإسـلامي لاحقـاً مـن بسـط سـيطرته علـى العديـد مـن منابرهـا وجـل إدارتهـا. وفـي خاتمـة المطـاف، نـال المعهـد الاعتـراف الرسـمي بالشـهادات التـي يُصدرهـا، باعتبارهـا جـزءاً مـن شـهادات جامعـة بـلاد الشـام للعلـوم الشـرعية المواليـة للنظـام. وعلـى المنـوال نفسـه، عُيّـن حسـان عـوض، المحاضـر فـي المعهـد وفـي كليـة الشـريعة، داعيـة فـي مسـجد الرفاعـي، أحـد أكبـر جوامـع العاصمـة والـذي لطالمـا كان مرتبطـاً بجماعـة زيـد، وجـرى تغييـر اسـم المسـجد مرتيـن للدلالـة علـى القطيعـة مـع الماضـي.[30] كمـا بـدأ الدعـاة الموالـون للمعارضـة يخسـرون منابرهـم الواحـد تلـو الآخـر، وبـات المشـهد الدينـي السـنّي يعكـس طابـع النظـام وتوجهاتـه.[31]

تمثّـل التأثيـر الثانـي فـي أن النظـام، وجنبـاً إلـى جنـب مـع تكثيـف دور أجهزتـه الأمنيـة داخـل الدائـرة الدينيـة واسـتبدال كبـار العلمـاء مـن ذوي العقليـة الاسـتقلالية برجـال ديـن أقـل رتبـة وأكثـر مطواعيـة، سـرّع عمليـة تأميـم المؤسسـات الدينيـة والهيئـات الأخـرى. وبهـذه الطريقـة، اسـتُخدم النـزاع السـوري المتفاقـم كمبـرر لتمريـر قوانيـن وإصـدار مراسـيم تُخضـع كل الكيانـات الإسـلامية الخاصـة إلـى سـيطرة وزارة الأوقـاف والشـؤون

الدينيـة. والواقـع أن القانـون الرقـم 31 للعـام 2018 منـح الـوزارة حـق تعريـف «الإسـلام الصحيـح»، كمـا سـمح لهـا بدرجـة مـن النفـوذ علـى وزارات أخـرى كوزارتـي الإتصـالات والتعليـم.[32] وهكـذا، أُعيـد تشـكيل الهيئـات الإسـلامية السـنّية المتباينـة والمفككـة تاريخيـاً لتصبـح أجـزاء مـن مؤسسـة دينيـة إسـلامية مُتّسـقة، وإن خاضعـة إلـى رقابـة النظـام الصارمـة للغايـة.[33]

لكـن خـارج العاصمـة، أُجبـر النظـام علـى الانسـحاب مـن العديـد مـن المناطـق فـي خضـم مـا أصبـح تمـرداً مسـلحا. ونتيجـة لذلـك، تغيّـر المشـهد الدينـي علـى نحـو كاسـح فـي مسـاحات شاسـعة مـن ريـف دمشـق. ومـع أن معظـم جماعـات المتمرديـن كانـت إسـلامية، لكنهـا ليسـت سـلفية التوجّـه، إلا أن الكثيـر مـن المـداد أُريـق حـول صعـود الجماعـات الراديكاليـة المُنتميـة إلـى هـذا الشـكل أو ذاك مـن السـلفية. ربمـا يرجـع السـبب إلـى الـدور العسـكري المُتضخّـم للجماعـات السـلفية فـي التمـرد. لكـن مـا لـه دلالـة، مـا خـلا الاسـتثناء المهـم للـون التقليـدي الـذي انتهجـه فصيـل سـلفي هـو جيـش الإسـلام فـي دومـا، فـإن السـلفية (وخاصـة الجهاديـة منهـا) لـم تتمتـع سـوى بدعـم ضئيـل فـي أوسـاط المواطنيـن المحلييـن وكان للمانحيـن الأجانـب اليـد العليـا فـي انتشـارها.[34] وهكـذا، كانـت السـلفية تتبخّـر عمليـاً مـن منطقـة مـا حالمـا يُجبـر مؤيدوهـا علـى الخـروج علـى يـد جماعـات متمـردة غيـر سـلفية أو مـن جانـب النظـام نفسـه.

التطـوّر الأهـم، الأكثـر ديمومـة، كان صعـود مجموعـة جديـدة مـن القـادة الدينييـن المحلييـن الذيـن تعاطـف العديـد منهـم مـع أهـداف المعارضـة. تاريخيـاً، مـا عـدا بعـض الاسـتثناءات، كان المشـهد الدينـي لمحافظـة ريـف دمشـق التـي تزنّـر العاصمـة عبـارة عـن حديقـة خلفيـة للكيانـات الدمشـقية، مـع وجـود بعـض المناطـق الواقعـة تحـت هيمنـة مؤسسـات معيّنـة. بيـد أن سـيطرة المتمرديـن المسـلحين علـى أشـطار واسـعة مـن الريـف، حتـى حيـن كانـت دمشـق لاتـزال فـي قبضـة النظـام الحازمـة، قلبـت هـذه الديناميكيـة.[35] فالشـخصيات الدينيـة المحليـة التـي لطالمـا تعـودت أن تكـون تابعـة وخاضعـة إلـى كبـار رجـال الديـن المقيميـن فـي دمشـق، اخترقـت هامشـيتهم النسـبية هـذه وتصـدرت أدوار المشـرعين والقضـاة الإسـلاميين داخـل الهيئـات السياسـية والعسـكرية المُهيمنـة فـي مـا يُسـمى بالمناطـق المحـررة.

إضافـةً إلـى ذلـك، فـي ذروة سـطوة المعارضـة المسـلحة فـي محافظـة ريـف دمشـق (خاصـة منطقـة الغوطـة)، انقلبـت العلاقـات بيـن المركـز والأطـراف رأسـاً علـى عقـب. علـى سـبيل المثـال، بـدأ الأعضـاء الشـبان فـي جماعـة زيـد الذيـن يعيشـون فـي كفرسوسـة، إحـدى ضواحـي دمشـق، بالانتقـال إلـى بلـدة داريـا فـي الغوطـة التـي يسـيطر عليهـا المتمـردون. فـي السـابق، كان الشـبان مـن داريـا يتوجهـون إلـى دمشـق لمتابعـة تحصيلهـم العلمـي. وحيـن قلبـت جماعـة زيـد ظهـر المجـن للنظـام، بذلـت جهـوداً لدعـم المجموعـات المتمـردة التـي سـيطرت علـى البلـدة. وعلـى الرغـم مـن القصـف اليومـي والحصـار الخانـق الـذي فرضـه النظـام، تحوّلـت مناطـق سـيطرة المتمرديـن كالغوطـة إلـى مرتـع للنشـاط الثـوري الـذي اجتـذب ناشـطين سياسـيين وشـباناً يافعيـن رفضـوا العيـش تحـت ظـلال حكـم رئيـس النظـام بشـار الأسـد فـي دمشـق.

الجديـر ذكـره هنـا أن الشـخصيات الدينيـة الجديـدة الصاعـدة، وعلـى رغـم قلـة عددهـا نسـبياً وعملهـا فـي الغالـب علـى مسـتوى فـردي لا جماعـي، إلا أنهـا تحتفـظ علـى مـا يبـدو بقـدر ملحـوظ مـن النفـوذ والاسـتقلال

الذاتي، حتى في ظل استعادة النظام سيطرته مؤخراً على المناطق المحيطة بدمشق، وحتى أيضاً على رغم تواصل تعاطف هذه الشخصيات مع المعارضة. وإذا ما كانت الصورة على هذا النحو بالفعل، فالفضل في ذلك يجب أن يُنحى إلى اتفاقات المصالحة التي توسّطت فيها هذه الشخصيات بين النظام وبين أعيان المناطق التي أخلاها المتمردون والمعارضون السياسيون. هذا ما فعله، مثلاً، الشيخ بسام ضفدع، وهو محاضر سابق في معهد الفتح الإسلامي، حيث استخدم نفوذه وعلاقاته الشخصية مع كل من المجتمع المحلي والنظام للتوّسط من أجل دخول هذا الأخير مجدداً إلى بلدة كفربطنا حالما أصبحت المقاومة عقيمة.[36]

طفت على السطح ظاهرة مماثلة مع أنس الطويل وأسامة الضبع ورضوان الكحيل في بلدة ببيلا، وصالح الخطيب في يلدا ومحمد نور الدين في بيت سحم. فغداة الحصار الذي فُرض على هذه المناطق لمعاقبتها، ساعد رجال الدين فيها على إقناع النظام بالسماح بدخول المساعدات الإنسانية. وبالتالي، أشرف هؤلاء على اتفاقات المصالحة التي حفظوا من خلالها أدوارهم القيادية، بما في ذلك مناصبهم الدينية، في داخل مجتمعاتهم المحلية، على الأقل حتى الآن.[37] وفي بلدة سقبا، لعب زاهر أبو الجوز دوراً مهماً خلال عمليات المصالحة، وحثّ السكان على «العودة إلى كنف الدولة وحمايتها».[38]

في هذه الأثناء، تمكّن الجناح الديني في المعارضة السياسية في نهاية المطاف من تحقيق هدف لطالما تملّص منه وهو توحيد العلماء البارزين المُنشقين في هيئة واحدة في العام 2014، ففي ذلك العام التأم شمل شخصيات دينية مؤيّدة للمعارضة في اسطنبول في تركيا، وشكّلوا المجلس الإسلامي السوري. وعلى رغم التشتت الجغرافي لأعضائه بين تركيا وبلدان الخليج والأردن ومناطق المتمردين في سورية وأماكن أخرى، نجح المجلس في جلب شخصيات وازنة من رابطة علماء الشام التي كانت تتخذ سابقاً من دمشق مقراً لها، ورابطة العلماء السوريين، وهي منظمة تتشكّل من منفيين أسّسها رجال دين مقربون من جماعة الإخوان في عمّان بالأردن العام 2006.[39]

على صعيد كلٍ من مستوى تمثيل التيارات الإسلامية التي لاحصر لها والحصول على الاعتراف الدولي، تفوّق المجلس الإسلامي على الجبهة الإسلامية في سورية التي برزت في الثمانينيات. والواقع أن هذا المجلس هو أكبر مجموعة معارضة إسلامية وازنة ظهرت منذ سيطرة حزب العبث على زمام السلطة في سورية. ومع أن المجلس فشل في التوصّل إلى اتفاق مع الجماعات السلفية (التي لاتزال نافذة أساساً بسبب دورها العسكري المتضخم في التمرد كما ألمحنا آنفا)، إلا أن المجلس يُعتبر العنصر الديني في الائتلاف الوطني السوري، الذي يشكّل المظلة الرئيسة لقوى المعارضة السورية. تضم قيادة المجلس الإسلامي 128 عضواً، منهم 50 ما زالوا في المناطق التي يُسيطر عليها المتمردون. وهو يدعّي تمثيل 40 هيئة دينية في داخل البلاد وخارجها.[40]

طرح المجلس الإسلامي نفسه كسلطة دينية وشبكة تعليمية في تركيا، حيث يقطن الآن ملايين من اللاجئين السوريين جلّهم من السنة. وقد أنجز ذلك عبر التعاون الوثيق مع «وقف الديانة التركي»، وربما بتمويل منه. هذا الأخير هو هيئة غير حكومية (وإن كان على صلة وثيقة بالدولة التركية) تكرّس

جهودها للتعليم الإسلامي. وقد قامت الشبكات المُرتبطة بالمجلس في مختلف المناطق التي يسيطر عليها المتمردون في سورية بتوفير الخدمات الاجتماعية والتعليم، وشغّلت المخابز، وحتى ساعدت على إدارة مخيمات النازحين داخليا، غالباً بالتعاون مع «وقف الديانة التركي».[41] كما لعب العديد من الأشخاص الذين لهم روابط مع المجلس الإسلامي أدواراً عسكرية بارزة في مختلف الميليشيات غير السلفية التي نشطت سابقاً في الغوطة، بما في ذلك الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام، وأحرار الشام وفيلق الرحمن.

ثمة هنا سمة جديدة للمجال الديني، تسحب نفسها بالتساوي على كلٍ من النظام وكيانات المعارضة، هي طبيعته العابرة للحدود بوضوح. في حالة النظام، حصدت إيران نفوذاً مباشراً في الحياة السياسية الدينية من خلال وزارات عدة. مثلا، أبرمت وزارة التعليم اتفاقات مع زميلتها الإيرانية سُمح بموجبها بمشاركة إيران في وضع المناهج التربوية.[42] وهذا تطور نجده ملفتاً للغاية، حين نتذكّر أن سورية سنّية بغالبيتها وشبه علمانية، فيما إيران دولة إسلامية شيعية. كما تعمل وزارة الأوقاف والشؤون الدينية عن كثب مع الإيرانيين: ففي آذار/مارس 2018، التقى وزيرها محمد عبد الستار السيد بالمرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي في طهران.[43]

على ضفة المعارضة، أقام رجال الدين الدمشقيون وفقهاء إسلاميون شبكات تمتد إلى بلدان عديدة، حتى وهم يحاولون الحفاظ على تلك القائمة في دمشق وأشطار أخرى من سورية. وكما أسلفنا، يتركّز نشاط المجلس الإسلامي في تركيا. وهذا ينطبق بشكل متزايد على كيانات إسلامية أخرى. على سبيل المثال، غادر قادة جماعة زيد، الذين سلّم النظام مساجدهم ومدارسهم إلى معهد الفتح الإسلامي، سورية وأسسوا مؤسسة زيد بن ثابت الأهلية في تركيا المرتبطة بالمجلس الإسلامي. وقد انضم إلى هذا الرهط رجال دين وفقهاء آخرون شقوا عصا الطاعة على الكيانات الإسلامية الموالية للنظام. وهكذا، أسّس موفق المرابع، النائب السابق لمدير معهد الفتح الإسلامي «دارَ القرآن وعلومه»، فيما أسّس محمد باسم دهمان، المنتمي سابقاً إلى مجمّع كفتارو، مؤسسة الشيخ أحمد كفتارو العلمية والدعوية وجمعية الشيخ أحمد كفتارو للعلوم والثقافة.[44]

خاتمة: ارتباطات دولية ومشاغل محلية

ينحسر النزاع في سورية بالتدريج، ويستعيد النظام سيطرته على معظم المناطق التي خسرها أمام مختلف الفصائل المتمردة. ومع ذلك، لايبدو أنه سيكون لنهاية الأعمال العدائية تأثيرات ملحوظة على محاولات النظام الخاصة بإعادة تشكيل المشهد الديني السنّي في العاصمة. كما ينبغي الانتظار لنرَ أيّاً من الأطراف، النظام أم المعارضة، سينجح في التحكّم بمثل هذا التغيير الجذري في المشهد. إنه تحدٍ عظيم بالفعل لكليهما.

بالنسبة إلى النظام، المسألة الأكثر إلحاحاً هي كيفية تلميع أوراق اعتماده الإسلامية. فإذا ما مال نحو الاعتماد على تصريحات الشخصيات الدينية السنّية الدمشقية التي تُعتبر على نطاق واسع مجرد دُمى، ستبدو استراتيجيته محكوماً عليها بالفشل. أما المعارضة الدينية فسيتعيّن عليها أن تتصدى إلى الكيفية

التـي قـد تخاطـر فيهـا بوضعيتهـا المتوطّـدة حديثـاً لتحويلهـا إلـى فاعليـة سياسـية. والحـال أنـه مهمـا كانـت المعارضـة موحّـدة، إلا أنهـا تنشـط فـي المنفـى، فيمـا اسـتحداث التغييـر فـي سـورية يتطلّـب تواجـد روابـط كثيفـة مـع أطـراف فـي الداخـل تتشـاطر وإياهـا نمـط التفكيـر نفسـه وتتمتـع بنفـوذ اقتصـادي واجتماعـي، خاصـة فـي العاصمـة.

أحـد الميادين المرشّـحة للتحـوّل إلـى حلبـة معركـة سياسـية هـي المجـال الدينـي فـي محافظـة ريـف دمشـق. إذ إنـه الميدان الـذي أصبحـت فيـه كوكبـة مـن رجـال الديـن قـوة ذات شـأن، أساسـاً بفعـل اتفاقـات المصالحـة التـي توسّـطوا فيهـا بيـن النظـام وبيـن مجتمعاتهـم المحليـة. تعاطـف العديـد مـن شـخصيات هـذه الكوكبـة مـع المُحتجيـن ولاحقـاً مـع المتمرديـن المسـلحين، وبعضهـا نسـج وشـائج مـع فصائـل متمـردة. ولـذا، تثمّـن المعارضـة عاليـاً هـؤلاء لكونهـم وسـطاء يمكـن مـن خلالهـم إقامـة الصلـة مـع المجتمعـات المحليـة السـنّية التـي شـكّلت العمـود الفقـري للتمـرّد. أمـا النظـام فيرمقهـم بعيـن الشـك، لكنـه حيـن يضـع فـي الاعتبـار موقفهـم وسـمعتهم الاسـتقلالية، يُـدرك أنـه يفعـل خيـراً إذا مـا تـودّد إليهـم. وبالتالـي، وبالنسـبة إلـى نظـام حريـص علـى توطيـد سـيطرته علـى الحيـاة الدينيـة فـي العاصمـة وضواحيهـا، وكـذا الأمـر للمعارضـة المنفيـة المُصمّمـة علـى الحفـاظ علـى روابـط مـع قاعدتهـا الشـعبية، فـإن رجـال الديـن فـي المناطـق المحيطـة بدمشـق قـد يكونـون رصيـداً ثمينـاً.

نبذة عن المؤلّفة

ليلى الرفاعي كاتبة وباحثة سورية، متخصّصة في الشؤون الدينية السورية.

شُكر

جـرت مناقشـة موضـوع هـذه الدراسـة والعديـد مـن الأفـكار التـي وردت فيهـا، فـي ورشـة عمـل عُقـدت فـي اسـطنبول فـي 10 كانـون الأول/ديسـمبر 2019. وأنـا مدينـة بجزيـل العرفـان إلـى مركـز كارنيغـي للشـرق الأوسـط لتنظيمـه هـذه الورشـة.

هوامش

1

انظر على سبيل المثال هذا المقتطف من:

Michael Izady, "Atlas of the Islamic World and Vicinity," Columbia University, https://gulf2000.columbia.edu/images/maps/Syria_Religion_Detailed_lg.png.

2

Albert Hourani, "Ottoman Reform and the Politics of Notables," inBeginnings of Modernization in the Middle East: The Nineteenth Century, edited by W.R. Polk and R.L. Chambers (Chicago: University of Chicago Press, 1981), 41–68.

وللاطلاع على معلومات مفصّلة حول دور العلماء في دمشق في عهد العثمانيين، انظر:

Steve Tamari, "Ottoman Madrasas: The Multiple Lives of Educational Institutions in Eighteenth-Century Syria," Journal of Early Modern History 5, no.2 (2000): 99–127.

3

تأسّس حزب البعث في سورية في العام 1947 من خلال اندماج حركتين سياسيتين، وجمع بين القومية العربية والاشتراكية. ولعب دوراً أساسياً في التاريخ الحديث لسورية، حيث لايزال في السلطة، وبقي في الحكم في العراق حتى العام 2003 حين تمّ عزله وحظره في وقت لاحق.

4

Thomas Pierret, Religion and State in Syria: The Sunni Ulama From Coup to Revolution (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2013), 17–22.

5

على سبيل المثال، حظي معهد الفتح الإسلامي بدعم مالي من جمعية الفتح الإسلامي، اللذان أسسهما الشيخ صالح فرفور. وتم دعم مجمع أبي النور الإسلامي (مجمع الشيخ أحمد كفتارو) مالياً من قبل جمعية الأنصار الخيرية. كان الشيخ سارية الرفاعي شخصية قيادية في جماعة زيد وشقيق قائدها أسامة، كما اشتُهر بلقب «شيخ التجار». للحصول على المزيد من التفاصيل حول الاقتصاد السياسي للنخبة السنّية الحضرية، انظر:

Pierret, Religion and State in Syria, Chapter 4, 144–162.

6

للاطلاع على معلومات حول الحركة التصحيحية والتغيرات التي أحدثتها، انظر:

Raymond Hinnebusch, Syria: Revolution From Above (London and New York: Routledge, 2001).

وحول الفلاحين والعلويين في نظام الأسد، انظر:

Hanna Batatu, Syria's Peasantry, the Descendants of Its Lesser Rural Notables, and Their Politics (Princeton: Princeton University Press, 1999).

7

برزت جماعة الإخوان المسلمين في سورية للمرة الأولى في العام 1945. وعملت علناً خلال الخمسينيات ومطلع الستينيات، وفازت بمقاعد في الانتخابات البرلمانية، قبل أن تختلف مع حزب البعث بعد وقت قصير من استيلاء هذا الأخير على السلطة في العام 1963. للاطلاع على معلومات حول النخبة السنّية الحضرية وعلاقتها بالإخوان المسلمين، انظر:

Michel Seurat, Syrie, l'Etat de barbarie (Paris: Presses universitaires de France, 2012).

8

Pierret, Religion and State in Syria, 189–190.

9

الطريقة الصوفية النقشبندية هي إحدى أكبر وأقدم الطرق في العالم. اشتقّ اسمها من اسم مؤسسها بهاء الدين النقشبند البخاري. ظهرت في سورية في نهاية القرن السابع عشر، وهي اليوم إحدى أبرز الطرق الصوفية في البلاد، إلى جانب الشاذلية والرفاعية.

10

عدنان سعد الدين، مقابلة أجراها أحمد منصور، برنامج «شاهد على العصر»، الجزيرة، 19 أيلول/سبتمبر 2012،
https://www.aljazeera.net/programs/centurywitness/2012/9/19/2ج-عدنان-سعد-الدين-عصر-الإخوان-المسلمين-في-سوريا

11

Pierret, Religion and State in Syria, 76–82.

12

المصدر السابق، ص. 89.

13

أسامة الرفاعي هو ابن مؤسس جماعة زيد، عبد الكريم الرفاعي.

14

Pierret, Religion and State in Syria, 192.

15

معاذ الخطيب، «مسودة اتحاد العلماء والأئمة والدعاة»، دربنا، 8 أيار/مايو 2006،
http://www.darbuna.net/blog/2006/05/08/%D9%85%D8%B3%D9%88%D8%AF%D8%A9-%D8%A5%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%A1-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%A6%D9%85%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B9%D8%A7%D8%A9/

16

Pierret, Religion and State in Syria, 199–203.

17

ليلى الرفاعي، « النظام السوري حبَى مجمّع الفتح الإسلامي بالنفوذ، لكن بأي ثمن؟»، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 13 كانون الأول/ديسمبر 2018،

https://carnegie-mec.org/2019/01/02/ar-pub-78051

18

Thomas Pierret, "The State Management of Religion in Syria: The End of 'Indirect Rule?'" in Middle East Authoritarianisms: Governance, Contestation, and Regime Resilience in Syria and Iran, edited by Steven Heydemann and Reinoud Leenders (Stanford, CA: Stanford University Press, 2013), 98.

19

المصدر السابق، ص. 97.

20

المصدر السابق، ص. 99، استناداً إلى معلومات من شبكة شام الإخبارية، وهي صحيفة إلكترونية سورية موالية للنظام توقفت عن الصدور، 6 أيلول/سبتمبر 2008.

21

المصدر السابق، ص. 100، استناداً إلى معلومات من صحيفة الثورة السورية اليومية، 6 شباط/فبراير 2009.

22

الشيخ سارية عبد الكريم الرفاعي (الصفحة الرسمية)، «مِن الذاكرة .. برومو قناة الدعوة الفضائية التي أغلقها النظام السوري عام 2008»، منشور على فايسبوك، 17 كانون الثاني/يناير 2009،

https://www.facebook.com/watch/?v=1972162816146548

و»إغلاق مركز للدراسات الإسلامية يملكه برلماني سوري»، إيلاف، 16 نيسان/أبريل 2009،

https://elaph.com/amp/Web/Politics/2009/4/430526.html

23

ليلى الرفاعي، «»الشبكة العلمائية الدمشقية».. القصة الكاملة من النشأة حتى التفكك»، الجزيرة، 19 تموز/يوليو 2018،

https://bit.ly/3aY0HDB

24

«شهود: إغلاق المصليات في المراكز التجارية في سورية وتحويلها إلى مستودعات بطلب من الأجهزة الأمنية»، أخبار الشرق، 14 آب/أغسطس 2009، عبر موقع رابطة أدباء الشام،

https://bit.ly/2ZhjGpi

وأيضاً:

Pierret, "The State Management of Religion in Syria," 101

استناداً إلى معلومات من الصحيفة اليومية العربية «القدس العربي»، 13 تشرين الأول/أكتوبر 2010. انظر أيضاً:

Associated Press, "Syria Bans Niqab From Universities," Guardian, July 19, 2010, https://bit.ly/2yb7KKC;

وهناده السيد عفاش، «وزير التربية يصدر قرارا بنقل المنقبات من حقل التعليم حفاظا على «العلمانية»»، فرانس 24، 1 تموز/يوليو 2010،

https://bit.ly/3bDBk9m

25

الرفاعي، «الشبكة العلمائية الدمشقية».

26

«مظاهرات بدمشق بعد اقتحام مساجد»، الجزيرة، 27 تموز/يوليو 2011،

https://bit.ly/2WJnoXE

27

«بيان أحرار مجمع الشيخ أحمد كفتارو»، موقع يوتيوب، 4 تموز/يوليو 2012،

https://youtu.be/J6m9wlZundM

28

انظر على سبيل المثال، خطاب البوطي بعد عشرة أيام فقط على اندلاع التظاهرات في درعا ودمشق: «خطاب البوطي على قناة الدنيا السورية 25-3-2011»، يوتيوب، 18 تموز/يوليو 2011،

https://www.youtube.com/watch?v=syWSF8O71lA

وللحصول على أمثلة إضافية، الرجاء زيارة موقعه الإلكتروني:

www.naseemalsham.com

29

علماء مدينة حماة، «أمثلة عن اعتقال المشايخ وعلماء الدين وتهجيرهم وضربهم وقتلهم»، منشور على فايسبوك، 14 آذار/مارس 2013،
https://bit.ly/3hIMhuL

30

«النظام يعاقب آل الرفاعي بتغيير اسم مسجدهم في دمشق»، عنب بلدي، 5 شباط/فبراير 2016،

https://www.enabbaladi.net/archives/63584

انظر أيضاً قناة المسجد على يوتيوب، التي تسلّط الضوء على خطاب الجمعة الأسبوعي لعوض:
https://www.youtube.com/channel/UCFvM9bDWSyMDT-Nu719shbA

31

ملاحظة المؤلّفة.

32

«القانون رقم 31 لعام 2018»، الوكالة العربية السورية للأنباء، 12 تشرين الأول/أكتوبر 2018،
https://www.sana.sy/?p=827604

33

هاروت أكديديان، «الحقل الديني يستمر في التوسّع في سورية»، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 19 آذار/مارس 2019،
https://carnegie-mec.org/2019/04/02/ar-pub-78750

34

انظر على سبيل المثال مظاهرة أهل الغوطة ضدّ تنظيم جبهة النصرة:
https://www.youtube.com/watch?v=jf_MlGiAgvo

35

Kheder Khaddour, "Localism, War, and the Fragmentation of Sunni Islam in Syria," Carnegie Middle East Center, March 28, 2019, https://carnegie-mec.org/2019/03/28/localism-war-and-fragmentation-of-sunni-islam-in-syria-pub-78714.

36

قُتل شيخان من كفربطنا، هما أحمد سعدية وعبد الخالق وهبة على يد فيلق الرحمن، وهي جماعة متمردة تسيطر على المنطقة، لمطالبتها بعودة النظام.
انظر: «عبد الخالق وهبة لم يقتل حديثًا في كفربطنا.. هذه تفاصيل إيجاد جثته»، عنب بلدي، 19 آب/أغسطس 2018،
https://www.enabbaladi.net/archives/247444

37

هديل الصيداوي، «كيف استخدمت الدولة السورية رجال الدين لإعادة توكيد سلطتها في محافظة ريف دمشق؟»، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 27 آذار/مارس 2019،
https://carnegie-mec.org/2019/05/17/ar-pub-79144

38

Ninar Al-Ra'i, "Facets of Syrian Regime Authority in Eastern Ghouta," Middle East Directions (MED), Wartime and Post-Conflict in Syria, November 2019, retrieved from Cadmus, European University Institute Research Repository, http://hdl.handle.net/1814/63871.

39

الرفاعي، «الشبكة العلمائية الدمشقية».

40

Thomas Pierret, "The Syrian Islamic Council," Diwan, Carnegie Middle East Center, May 13, 2014, https://carnegie-mec.org/diwan/55580.

41

أكديديان، «الحقل الديني يستمر في التوسّع في سورية».

42

فادي بك الشريف، «اليوم توقيع اتفاقية تعاون تربوي بين سورية وإيران...»، الوطن، 23 كانون الثاني/يناير 2020، http://alwatan.sy/archives/229505.

انظر أيضاً: «كارثة تحلّ على الأجيال الناشئة في سوريا.. إيران تستحوذ على قطاع التربية والتعليم»، صحيفة جسر الإلكترونية، 26 كانون الثاني/يناير 2020،

https://www.jesrpress.com/2020/01/26/%D9%83%D8%A7%D8%B1%D8%AB%D8%A9-%D8%AA%D8%AD%D9%84-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%EF%BB%B7%D8%AC%D9%8A%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7%D8%B4%D8%A6%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7/?fbclid=IwAR2Mv_QKP6Ac6wsEJoy45kqhbNo1FeT82YJgfllk16qxZxNsZ-5SYpEuHSzc

43

«قائد الثورة الإسلامية يستقبل وزير الأوقاف وجمعاً من علماء سوريا»، موقع مكتب سماحة القائد آية الله العظمى الخامنئي، 1 آذار/مارس 2018، https://bit.ly/3bzdWKH

44

الرفاعي، «الشبكة العلمائية الدمشقية».



Emir Bechir Street, Lazarieh Tower | Bldg. No. 2026 1210, 5th flr.
Downtown Beirut, P.O.Box 11-1061 | Riad El Solh, Lebanon
P: + 961 1 99 15 91

Carnegie-MEC.org